المنهج التجريبي

ماذا يعني ؟

المنهج التجريبي هو طريقة بحث تهدف إلى دراسة الظواهر الاجتماعية من خلال التحكم في المتغيرات لقياس تأثير عامل معين (متغير مستقل) على سلوك أو ظاهرة أخرى (متغير تابع) في بيئة مضبوطة. يُعد هذا المنهج الأكثر دقة لتحديد علاقات "السبب والنتيجة" بين المتغيرات الاجتماعية.

في علم الاجتماع : يتفق علماء الاجتماع على أن المنهج التجريبي هو **طريقة بحثية منظمة** تهدف إلى التحقق من صحة الفروض العلمية عن طريق **التدخل المباشر** في الظاهرة، وذلك من خلال عزل المتغيرات والتحكم في العوامل المحيطة لرصد التغيرات بدقة. مع هذا يمكننا أن نستعرض بعض من رؤى رواد علم الاجتماع بخصوص المنهج التجريبي

1. **أوغست كونت :(Auguste Comte)** اعتبره "الملاحظة المختبرية" للظواهر، حيث رأى أن التجربة في علم الاجتماع لا تقتصر على المختبر، بل تشمل **مقارنة الحالات** التي يتدخل فيها الباحث لتغيير مجرى الأحداث العادي لاختبار فكرة معينة.
2. **إميل دوركايم :(Émile Durkheim)** رغم تركيزه على المنهج المقارن، عرّف التجريب بأنه **"التجريب غير المباشر"**؛ أي دراسة الظواهر من خلال مقارنة الحالات التي تظهر فيها أو تختفي، معتبراً أن الضبط المنهجي هو ما يحول الملاحظة العادية إلى تجربة علمية.
3. **كلود جيلين :(John Gillin)** عرفه بأنه وصف وتحليل دقيق للظواهر تحت **ظروف محكومة** بدقة من قبل الباحث، بحيث يمكن تكرار العملية للتأكد من النتائج.
4. **التعريف الإجرائي الحديث :**يُعرف حالياً بأنه الجهد الذي يبذله الباحث لاختبار أثر **المتغير المستقل** (السبب) على **المتغير التابع** (النتيجة)، مع عزل تأثير **المتغيرات الدخيلة** لضمان أن التغيير ناتج عن العامل المدروس فقط.

باختصار :يرى علماء الاجتماع أن المنهج التجريبي هو أداة **الضبط والمقارنة** التي تنقل علم الاجتماع من مرحلة التخمين إلى مرحلة **القوانين العلمية**.

خطوات المنهج التجريبي: يرتكز المنهج التجريبي باعتباره منهجا في البحث العلمي عموما على ثلاث خطوات أساسية مترابطة:

- **الملاحظة:** رصد الظاهرة الاجتماعية وجمع البيانات الأولية عنها.
- **الفرضية:** صياغة تفسير مؤقت أو توقع ذكي للعلاقة بين المتغيرات المراد دراستها.
- **التجربة:** إجراء اختبار علمي للتحقق من صحة الفرضيات عبر إدخال المتغير المستقل على عينة البحث.

أما في العلوم الاجتماعي فالأمر يختلف بالنظر لخصوصيات الموضوع. بحيث لا يمكننا تطبيق الخطوات الثلاثة السابقة كما يجري عليه الأمر في العلوم الطبيعية وإنما نتحدث عادة عن خطوات أخرى متضمنة في العناصر الثلاثة (الملاحظة والفرضية والتجريب) بالشكل الذي يتلاءم مع طبيعة البحث وخصائص موضوع العلوم الاجتماعية. فنتحدث عادة عن:

1. **تحديد المشكلة:** صياغة السؤال البحثي بدقة.
2. **اختيار المجموعات:** تقسيم العينة عادةً إلى مجموعتين:
    - **المجموعة التجريبية:** التي تتعرض للمتغير المستقل (التعديل أو البرنامج الجديد).

- **المجموعة الضابطة:** التي تظل في ظروفها العادية للمقارنة.

3. **الضبط التجريبي:** محاولة عزل العوامل الخارجية التي قد تؤثر على النتائج لضمان الموضوعية.
4. **القياس والتحليل:** مقارنة النتائج بين المجموعتين واستخلاص القوانين الاجتماعية.

الصعوبات التي تواجه الباحث في تطبيق المنهج التجريبي:

على الرغم من أهميته وفاعليته ، يواجه المنهج التجريبي عند تطبيقه في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية عموما صعوبات يمكننا حصرها في:

- **الطبيعة البشرية:** صعوبة ضبط السلوك الإنساني بشكل كامل مقارنة بالمواد الجامدة.
- **الأخلاقيات:** بعض التجارب قد تثير تساؤلات أخلاقية حول التدخل في حياة الأفراد (مثل تجربة سجن ستانفورد الشهيرة).
- **الظروف المصطنعة:** قد لا تعبر نتائج المختبر بدقة عن واقع المجتمع الطبيعي.
- **الذاتية:** صعوبة تجرد الباحث تماماً من ميوله الشخصية أو الأيديولوجية أثناء التجريب.

أمثلة عن دراسات وأبحاث إجتماعية وظفت المنهج التجريبي:

أولا: تجربة سجن ستانفورد) 1971 (التي أجراها عالم النفس الاجتماعي **فيليب زيمباردو** محاولا قياس التأثير الذي يخلفه السياق الاجتماعي والنظام المؤسسي على سلوك الأفراد .

ثانيا: تجربة طاعة السلطة (ستانلي ميلغرام) :لقياس مدى استعداد الأفراد لإيذاء الآخرين لمجرد تلقي أوامر من سلطة "علمية."

ثالثا: تجربة كهف اللصوص (مظفر شريف) : اهتمت لدراسة بكيفية نشوء الصراع بين الجماعات وكيفية حله من خلال الأهداف المشتركة.